

تفسير ابن كثير

يقول تعالى : { لا إكراه في الدين } أي لا تكرهوا أحدا على الدخول في دين الإسلام فإن بين واضح جلي دلائله وبراهينه لا يحتاج إلى أن يكره أحد على الدخول فيه بل من هداه للإسلام وشرح صدره ونور بصيرته دخل فيه على بيته ومن أعمى الله قلبه وختم على سمعه وبصره فإنه لا يفيده الدخول في الدين مكرها مقسورة وقد ذكروا أن سبب نزول هذه الآية في قوم من الأنصار وإن كان حكمها عاما وقال ابن جرير : حدثنا ابن بشار حدثنا ابن أبي عدي عن شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : كانت المرأة تكون مقلة فتجعل على نفسها إن عاش لها ولد أن تهوده فلما أجلت بنو النمير كان فيهم من أبناء الأنصار فقالوا : لا ندع أبناءنا فأنزل الله { لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي } وقد رواه أبو داود والنسيائي جميعا عن بندار به ومن وجوه آخر عن شعبة به نحوه وقد رواه ابن أبي حاتم وابن حبان في صحيحه من حديث شعبة به وهكذا ذكر مجاهد وسعيد بن جبير والشعبي والحسن البصري وغيرهم أنها نزلت في ذلك وقال محمد بن إسحاق عن محمد بن أبي محمد الحرشي مولى زيد بن ثابت عن عكرمة أو عن سعيد عن ابن عباس قوله : { لا إكراه في الدين } قال : نزلت في رجل من الأنصار منبني سالم بن عوف يقال له الحصيني كان له ابنان نصرا نيان وكان هو رجلا مسلما فقال للنبي صلى الله عليه وسلم : ألا استكرههما فإنهما قد أبى إلا النصرانية فأنزل الله فيه ذلك رواه ابن جرير وروى السدي نحو ذلك وزاد : وكانا قد تنمرا على يدي تجار قدمو من الشام يحملون زيتا فلما عزما على الذهاب معهم أراد أبوهما أن يستكرههما وطلب من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبعث في آثارهما فنزلت هذه الآية وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي حدثنا عمرو بن عوف أخبرنا شريك عن أبي هلال عن أنس قال : كنت في دينهم مملوكا نصرا نيا لعمر بن الخطاب فكان يعرض علي الإسلام فآبى فيقول { لا إكراه في الدين } ويقول : يا أنس لو أسلمت لا تستعن بك على بعض أمور المسلمين وقد ذهب طائفة كثيرة من العلماء أن هذه محمولة على أهل الكتاب ومن دخل في دينهم قبل النسخ والتبديل إذا بذلوا الجزية وقال آخرون : بل هي منسوبة بآية القتال وإنه يجب أن يدعى جميع الأمم إلى الدخول في الدين الحنيف دين الإسلام فإن أبي أحد منهم الدخول فيه ولم ينقد له أو يبذل الجزية قوتل حتى يقتل وهذا معنى الإكراه قال الله تعالى { ستدعون إلى قوم أولي بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون } وقال تعالى : { يا أيها النبي جاحد الكفار والمنافقين واغلط عليهم } وقال تعالى : { يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا أن الله مع المتقين } وفي الصحيح [عجب ربكم من قوم يقادون إلى الجنة في السلسل]

يعني الأسرى الذين يقدم بهم بلاد الإسلام في الوثائق والأغلال والقيود والأكبال ثم بعد ذلك يسلمون وتصلح أعمالهم وسرايرهم فيكونون من أهل الجنة فاما الحديث الذي رواه الإمام أحمد : حدثنا يحيى عن حميد عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لرجل أسلم قال : إني أجدني كارها قال : وإن كنت كارها فإنه ثلاثي صحيح ولكن ليس من هذا القبيل فإنه لم يكره النبي صلى الله عليه وسلم على الإسلام بل دعاه إليه فأخبره أن نفسه ليست قابلة له بل هي كارهة فقال له : أسلم وإن كنت كارها فإن الله سيرزقك حسن النية والإخلاص .

وقوله : { فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بما قد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها و الله سميع عليم } أي من خلع الأنداد والأوثان وما يدعو إليه الشيطان من عبادة كل ما يعبد من دون الله ووحد الله فعده وحده وشهد أنه لا إله إلا هو { فقد استمسك بالعروة الوثقى } أي فقد ثبت في أمره واستقام على الطريق المثلى والمصراط المستقيم قال أبو قاسم البغوي : حدثنا أبو روح البلدي حدثنا أبو الأحوص سلام بن سليم عن أبي إسحاق عن حسان هو ابن قائد العبسي قال : قال عمر بن الخطاب : إن الجبـت السحر والطاغوت الشيطان وإن الشجاعة والجبن غرائز تكون في الرجال يقاتل الشجاع عمن لا يعرف ويفر الجبان من أمه وإن كرم الرجل دينه وحسبه خلقه وإن كان فارسيا أو نبطيا وهكذا رواه ابن حجر وابن أبي حاتم من حديث الثوري عن أبي إسحاق عن حسان بن قائد العبسي عن عمر فذكره ومعنى قوله في الطاغوت : إنه الشيطان قوي جدا فإنه يشمل كل شر كان عليه أهل الجاهلية من عبادة الأوثان والتحاكم إليها والاستئصال بها .

وقوله : { فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها } أي فقد استمسك من الدين بأقوى سبب وشبه ذلك بالعروة القوية التي لا تنفص هي في نفسها محكمة مبرمة قوية وربتها قوي شديد ولهذا قال { فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها } الآية قال مجاهد : العروة الوثقى يعني الإيمان وقال السدي : هو الإسلام وقال سعيد بن جبير والضحاك : يعني لا إله إلا الله وعن أنس بن مالك : العروة الوثقى القرآن وعن سالم بن أبي الجعد قال : هو الحب في الله وبالبغض في الله وكل هذه الأقوال صحيحة ولا تنافي بينها وقال معاذ بن جبل في قوله : { لا انفصام لها } دون دخول الجنة وقال مجاهد وسعيد بن جبير { فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها } ثم قرأ { إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم } وقال الإمام أحمد : حدثنا إسحاق بن يوسف حدثنا ابن عوف عن محمد بن قيس بن عباد قال : كنت في المسجد فجاء رجل في وجهه أثر من خشوع فصلى ركعتين أوجز فيهما فقال القوم : هذا رجل من أهل الجنة فلما خرج اتبعته حتى دخل منزله فدخلت معه فحدثته فلما استأنس قلت له : إن القوم لما دخلت المسجد قالوا : كذا وكذا قال : سبحان الله ما ينبغي لأحد أن يقول مالا يعلم وسأحدثك لم إني رأيت رؤيا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم قصصتها عليه رأيت كأني في روضة

حضراء قال ابن عون فذكر من خضرتها وسعتها - وفي وسطها عمود حديد أسفله في الأرض وأعلاه في السماء في أعلى عروة فقيل لي أصعد عليه فقلت : لا أستطيع فجاءني منصف - قال ابن عون هو الوصيف - فرفع ثيابي من خلفي فقال : أصعد فصعدت حتى أخذت بالعروة فقال : استمسك بالعروة فاستيقظت وإنها لفي يدي فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقصتها عليه فقال [أما الروضة فروضة الإسلام وأما العمود فعمود الإسلام وأما العروة فهي العروة الوثقى أنت على الإسلام حتى تموت] قال : وهو عبد الله بن سلام أخرجه في الصحيحين من حدث عبد الله بن عون فقمت إليه وأخرجه البخاري من وجه آخر عن محمد بن سيرين به .

(طريق أخرى وسياق آخر) قال الإمام أحمد : أئبنا حسن بن موسى وعثمان قالا : أئبنا حماد بن سلمة عن عاصم بن بهلة عن المسيب بن رافع عن خرشة بن الحر قال قدمت المدينة فجلست إلى مشيخة في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم فجاء شيخ يتوكأ على عصا له فقال القوم : من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا فقام خلف سارية فصلى ركعتين فقلت له : قال بعض القوم : كذا وكذا فقال : الجنة لا يدخلها من يشاء وإنني رأيت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤيا : كأن رجلا أتاني فقال : انطلق فذهبت معه فسلك بي منها عظيما فعرضت لي طريق عن يساره فأردت أن أسلكها فقال : إنك لست من أهلها ثم عرضت لي طريق عن يميني فسلكتها حتى انتهيت إلى جبل زلق فأخذ بيدي فرجل بي حتى أخذت بالعروة فقال : استمسك فقلت : نعم فضرب العمود برجله واستمسك بالعروة فقصتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال [رأيت خيراً أما المنهج العظيم فالمحشر وأما الطريق التي عرضت عن يسارك فطريق أهل النار ولست من أهلها وأما الطريق التي عرضت عن يمينك فطريق أهل الجنة وأما الجبل الزلق فمنزل الشهداء وأما العروة التي استمسكت بها فعروة الإسلام فاستمسك بها حتى تموت] قال : فإنما أرجو أن أكون من أهل الجنة قال : وإذا هو عبد الله بن سلام وهذا رواه النسائي عن أحمد بن سليمان عن عفان وابن ماجه عن أبي شيبة عن الحسن بن موسى الأشيب كلاهما عن حماد بن سلمة به نحوه وأخرجه مسلم في صحيحه من حدث الأعمش عن سليمان بن مسهر عن خرشة بن الحر الفزارى به